المنهج العلمي في العلاقة البينية بين علم النفس الاجتماعي والإحصاء -النموذج الإحصائي متساوي الاحتمال في دراسة التمثلات الاجتماعية - أنموذجا -

الأستاذة: نصيرة براهمةالدكتور: ابراهيم بوالفلفل
جامعة جيجلibrahimboulfelfel@gmail.com

الملخص:

إن استنطاق واقع الممارسة الفعلية لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة تكشف التفسيرات الحقيقية الكامنة ورائها، يعرّي الخطاب المُعلن عن وجود حدود فاصلة بين العلوم، ذلك أن تفسير ظواهر المجتمع بحقوله المختلفة الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية...يتأسس على ذلك التكامل والتداخل بين الأسباب و العوامل التي أدت إلى خلقها في الوجود الاجتماعي، والذي يعتبر فيه الإنسان فاعل اجتماعي متكامل لا يمكن فصل جسده عن تفكيره ونفسيته وعلاقاته الاجتماعية، و بالتالي لا يمكن فصل العلوم التي تشتغل بظواهر جسده الفيزيقي والأخرى التي تشتغل بظواهر نفسيته و علاقاته الاجتماعية إلا في حدود القاعدة المنهجية القائلة كلما اتسعت فئة التحليل قلت قيمتها التصنيفية.

تتناول هذه الورقة العلمية الحديث عن التقاطع المعرفي بين علم الاجتماع و علم النفس،والذي أوجد تقاطعهما علم نفس اجتماعي ثم علم الإحصاء الذي ارتبط بالعلوم الاجتماعية،ما أدى إلى استحداث فضاء معرفي متخصص و هو الإحصاء الاجتماعي الذي تعددت أساليبه وتقنياته على غرار النموذج الإحصائي متساوي الاحتمال المستخدم في دراسة التمثلات الاجتماعية.

وعليه تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤلات التالية:

ما طبيعة العلاقة البينية بين العلوم الاجتماعية و علم الإحصاء ؟

ما طبيعة المنهج العلمي المستخدم في العلاقة البينية بين علم النفس الاجتماعي وعلم الإحصاء؟

ما طبيعة النموذج الإحصائي متساوي الاحتمال في دراسة التمثلات الاجتماعية ؟

الكلمات المفتاحية: علم النفس الاجتماعي، الإحصاء، النموذج الإحصائي متساوي الاحتمال، التمثلات الاجتماعية، العلاقة البينية.

Abstract:

The questioning of the reality of actual practice in the study of social phenomena uncovers the real interpretations underlying these same phenomena. That reveals the attitude announcing the presence of boundaries between disciplines. This is because the interpretation of social, economical and political phenomena is based on the integration and the overlap between the reasons and factors leading to social existence, in which the human considered as an integrated social actor who cannot separate apart his body from his mind ,soul and social relationships .It follows that we cannot separate sciences operating on physical aspect and others dealing with psychological and social phenomena except in respect to the limits of methodological rule stating that whenever the category of analysis expands its taxonomical value decreases.

This scientific paper considers the intersection of knowledge between sociology and psychology which led to the establishment of social psychology and statistics as a discipline

related to a social science which, in turn, has led to the creation of field of specialized knowledge, known as social statistics.
The latter present several patterns an techniques such as (in the example of) statistical model equal probability applied in investigating social representations.
Therefore, this paper endeavours answering the following questions:
What is the nature of interdisciplinary relationship between social sciences and statistics?
What is the nature of the scientific method used in interdisciplinary relationship between social psychology and statistics?
What is the nature of the statistical model equal probability in investigating social representations?
Keywords: Social Psychology, Statistics, Statistical Model Equal Probability, Social representations, interdisciplinarity.

مقدمة :

إن استنطاق واقع الممارسة الفعلية لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة تكشف التفسيرات الحقيقية الكامنة ورائها يعري الخطاب المُعلن عن وجود حدود فاصلة و قاطعة بين العلوم،ذلك أن تفسير ظواهر المجتمع بحقوله المختلفة الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الفنية و الجمالية و الأدبية و الفيزيولوجية و الرياضية و الفيزيائية ....يتأسس على ذلك التكامل والتداخل بين الأسباب و العوامل التي أدت إلى خلقها في الوجود الاجتماعي و الذي يعتبر فيه الإنسان فاعل اجتماعي متكامل لا يمكن فصل جسده عن تفكيره و نفسيته و علاقاته الاجتماعية، و بالتالي لا يمكن فصل العلوم التي تشتغل بظواهر جسده الفيزيقي والأخرى التي تشتغل بظواهر نفسيته و علاقاته الاجتماعية و تعاملاته السياسية و الاقتصادية، إلا في حدود القاعدة المنهجية القائلة بأنه كلما اتسعت فئة التحليل قلت قيمتها التصنيفية، أي أن الفصل الغير قطعي بين العلوم جاء لضرورة تقليص فئات التحليل من أجل الاقتراب أكثر إلى الدقة في النتائج،و هو فصل لا يتعارض مع الاستجابة لتجاوز الحدود التخصصية بين العلوم المختلفة في تفسير الظواهروإنما يبني جسر منهجي بينها يضمن المعالجة المنطقية و العلمية في كل الفضاءات المعرفية

الكلمات المفتاحية: علم النفس الاجتماعي، الإحصاء،النموذج الإحصائي متساوي الاحتمال، التمثلات الاجتماعية، العلاقة البينية.

مشكلة الدراسة:

يظهر لنا عدم إحداث قطيعة إبستمولوجية بين العلوم، مساحات مفتوحة بين التخصصات المختلفة تعتبر هي الأخرى مسرحا تنتج فيه أنماطا جديدة من العلاقات و تشتغل فيه جملة من المفاهيم المتخصصة و الظواهر التي لا يمكن معالجتها بنفس أساليب و مناهج العلوم التي أدى تقاطعها إلى إنتاج هذا الفضاء المعرفي الجديد ، خاصة و أن المنهج العلمي يعبر عن تلك المبادئ و القواعد و الخطوات المنطقية و المتخصصة ،التي يجب على الباحث إتباعها في دراسته للمواضيع، أي أن المنهج العلمي يأخذ بعين الاعتبار كشرط أساسي في بناء خطواته طبيعة الظواهروالحقل المعرفي الذي تتموقع فيه، و الحديث عن علاقة بينية بين علم النفس الاجتماعي و الإحصاء في الواقع ليس حديث عن تقاطع تخصصين، أو فضاءين معرفيين علم اجتماعي و آخر غير اجتماعي،و لكنه في حقيقة الأمر حديث عن عدة فضاءات معرفية،علم الاجتماع وعلم النفس الذي أوجد تقاطعهما علم نفس اجتماعي، ثم علم الإحصاء الذي نتج بعد التداخل الحاصل بين الرياضيات و العلوم الاجتماعية و الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بها، حيث لا تكاد تخلو أي دراسة اجتماعية من الاستعانة بالأساليب و المناهج الإحصائية لتحويل معطياتها الكيفية إلى أخرى كمية، أي تصوير الظاهرة الاجتماعية في شكل رقمي يسهل عملية تحليلها و تفسيرها و إبراز العلاقات القائمة فيها وأخيرا استخلاص نتائج منها، ما أدى في النهاية إلى استحداث فضاء معرفي متخصص يعبر عن هذا التقاطع و هو الإحصاء الاجتماعي،

الذي تعددت أساليبه و تقنياته على غرار النموذج الإحصائي متساوي الاحتمال المستخدم في دراسة التمثلات الاجتماعية المتموقعة في التقاطع الحاصل بين علم النفس و علم الاجتماع، و الذي – النموذج الإحصائي – يجعلنا التدقيق في خطواته ننعت المنهج العلمي في العلاقات البينية بين العلوم الاجتماعية و العلوم الأخرى بالوحدة و التكامل الرامي إلى بلوغ نتائج تفسر الظاهرة و تتحكم فيها و لما لا تتنبأ بحدوثها .

مما سبق تحاول هذه الدراسة النظرية الاستفهام عن:

طبيعة العلاقة البينية بين العلوم الاجتماعية و علم الإحصاء ؟

المنهج العلمي المستخدم في العلاقة البينية بين علم النفس الاجتماعي و علم الإحصاء ؟

النموذج الإحصائي متساوي الاحتمال في دراسة التمثلات الاجتماعية كنموذج ؟

أهداف البحث :

- التعرف على طبيعة العلاقة البينية بين العلوم الاجتماعية و علم الإحصاء.
- تحديد المنهج العلمي المستخدم في العلاقة البينية بين علم النفس الاجتماعي و علم الإحصاء .
- التعريف بالنموذج الإحصائي متساوي الاحتمال في دراسة التمثلات الاجتماعية كنموذج.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث الحالي من الأهمية غير المسبوقة التي أصبحت تولى للعلاقات البينية بين التخصصات المعرفية المختلفة، حيث تعبر الدراسة الحالية عن التوجه الجديد الذي أصبع يطبع البحث العلمي وكذا المنحى الحديث الذي اتجهت إليه العلوم الاجتماعية من ناحية التفاعل و التعاون مع العلوم الأخرى، من أجل الإحاطة بطريقة أفضل بالمشكلات الاجتماعية والإنسانية المعاصرة، التي أصبحت سمتها البارزة التعقيد والتشعب الموجب للتفاعل بين مختلف فروع المعرفة بهدف فهمها وتفسيرها والتنبؤ بمسارها من اجل التحكم فيها .

منهج الدراسة :

تستخدم الدراسة الحالية المنهج الوصفي وفقا لطبيعة المشكلة التي تحاول تتبع التقاطع بين تخصصين معرفيين علم النفس الاجتماعي وعلم الإحصاء .

1. العلاقة البينية بين العلوم الاجتماعية و علم الاحصاء :

إن محاولات الإنسان لتفسير الظواهر المختلفة المحيطة به لم تتوقف منذ البدايات الاولى لوعيه بوجوده طبيعيا و اجتماعيا ، فبعد أن فسر الحوادث تفسيرا مثاليا غائيا ، أدى تطور فكره و اتساع مجالات معرفته إلى ظهور المعرفة العلمية التي تجاوزت المعرفة الحسية المعتمدة على الملاحظة البسيطة و كذا المعرفة الفلسفية المجردة المعتمدة على التأمل و التفكير المجرد لتؤسس لمعرفة تجريبية و نظرية في نفس الوقت و تموضع نفسها في ثلاث ميادين علمية رئيسية : العلم الاجتماعي و العلم الطبيعي و الإنسانيات، هذه الميادين هي الاخرى انقسمت الى أعداد كبيرة من التخصصات و الفروع العلمية الضيقة التي تحاول حصر مجال الاهتمام طلبا للدقة و اقترابا للحقيقة فنجد " العلم الاجتماعي هو ذلك الميدان من المعرفة الانسانية الذي يتناول جميع جوانب الحياة الجمعية للإنسان، و يتناول العلم الطبيعي البيئة الطبيعية التي يعيش وسطها الانسان ... و تعالج الانسانيات بعض الوجوه الخاصة من الثقافة الانسانية أو بمعنى أكثر وضوحا تحاول أن تحدد نفسها في تقصي محاولات الانسان للتعبير عن قيمه الروحية و الجمالية من خلال الأدب و الفن و تهدف إلى اكتشاف معنى الحياة من خلال الدين و الفلسفة " (غيث،1986:ص144) و إذا كان لابد للإنسان أن يفهم ظواهر الكون الطبيعية المحيطة به و يتمكن من تفسيرها تفسيرا علميا، ثم يبلغ درجة التحكم بها ،فإنه لا يقل أهمية أن يفهم الظاهرة الاجتماعية الشاملة لجوانب حياته الاجتماعية و الفردية و التي يعتبر هو العنصر الأساسي فيها أو العنصر المولد لها،و هذا ما اعتنت به العلوم الاجتماعية

رغم عدم بلوغها دقة العلوم الطبيعية في معالجة الظواهر و تفسيرها، ذلك لأن العلوم الاجتماعية لا تحوي وحدات معينة لقياس الظواهر و العلاقات الاجتماعية عكس العلوم الطبيعية المحتوية على جملة من وحدات القياس و القوانين و المعادلات الرياضية، بالإضافة الى المكانة الدونية التي تحتلها العلوم الاجتماعية خاصة في مجتمعات العالم الثالث ، نظرا لتوزع الأفكار فيها و انقسامها الى تعميمات نظرية غير موحدة، و رغم أن العلوم الطبيعية هي الأخرى واجهتها عقبات علمية و منهجية في بدايات مأسستها، تجعلنا نتوقع أن تبلغ العلوم الاجتماعية من الدقة و الكفاءة ما يوصلها إلى مقولات منهجية يحتكم إليها و تقدم معرفي معترف به، إلا أنه لا يمكن أبدا أن نتجاهل الاختلاف الجوهري الموجود بين الميادين العلمية و المتمحور أساسا حول طبيعة مواضيع الدراسة .

إن اهتمام العلوم الاجتماعية بمظاهر النشاط الإنساني سواء أكان خاصا بالفرد أو الجماعة أو المجتمع، يموقعها في فضاء معرفي واسع و مرتبط و متساند يصعب السيطرة عليه و يجعل من الاستحالة على أي باحث مهما كانت قدراته المعرفية كبيرة أن يلم بها جميعا من باب المتخصص، ما جعل من الضروري منهجيا و معرفيا أن يقسم ميدان العلوم الاجتماعية إلى جملة من الفروع و التخصصات ، طبعا مع عدم إهمال النظر إلى المجتمع كحقيقة كلية تترابط فيه العوامل المولدة لمختلف الظواهر فيه ارتباطا يجعل من الخطأ أن نؤسس فهمنا على ناحية دون النواحي الأخرى، فأساس التمايز هذا " لا يمثل اختلافا في الموضوع لأن جميع هذه العلوم تدرس نفس الظواهر –حقائق الحياة الاجتماعية – أو بمعنى آخر يمكننا أن نقول إن الاختلافات تنصب على مركز الاهتمام أو النظرة الخاصة لكل علم من العلوم الاجتماعية " (غيث، 1986:ص146)، هذا ما يجعلنا ننتقل بالحديث عن الحدود الفاصلة بين هذه العلوم الاجتماعية و الفضاءات المعرفية و الموضوعات التي يحدثها التداخل بينها، تداخل يجعل الباحث يفسر الظواهر أحيانا على أساس التمايز و أحيانا أخرى على أساس التكامل بينها خاصة و أن مواضيع علم أو تخصص واحد ترتبط بمواضيع تخصصات أخرى، فنجد مثلا ارتباط موضوعات علم النفس كعلم اجتماعي بمجال العلوم الطبيعية (البيولوجيا) ومع علم الاجتماع عند اشتراكهما في دراسة مواضيع التنشئة الاجتماعية وديناميات الجماعة، وكذا استعانة علم الاجتماع بعلم الإحصاء الذي يحتاج هو الآخر إلى الديمغرافيا التي تعتمد على الإحصاء و الرياضيات،و أيضا الميكانيكا الحيوية التي تتداخل فيها أقسام التربية الرياضية و الهندسة الميكانيكية و العلاج الطبيعي، وبالتالي فأي محاولة لتأسيس معرفة شمولية لشتى العلوم، يفرض علينا تجاوز النظرة الضيقة التي تموقع كل تخصص معرفي في حدود خاصة يحرم تجاوزها، و إلا ستضعف القدرة التحليلية و التفسيرية للظواهر، خاصة إذا تعلق الأمر بالظاهرة الاجتماعية التي تمثل كلا متشعبا لا يمكن الفصل نهائيا بين الأسباب المؤدية إلى خلقها في وجود اجتماعي صنعه فاعل اجتماعي وهو أعقد وأشمل من أن يفسر سلوكه علم اجتماعي واحد فقط،ما جعل من الضروري إحداث معرفة تكاملية للمجتمع، تتجاوز الانفصالية والتخصصية المعرفية التي بدأ ظهورها منذ القرن السابع وازدادت في القرن العشرين أين " أفرزت روح التخصص مبالغات غير مبررة في تقسيم بعض الميادين إلى شعب أولا وبعد ذلك إلى تخصصات جديدة مستقلة " (مركز البحوث و الدراسات، 2012: ص 5) وهذا ما جعل " الحدود الفاصلة بين العلوم الاجتماعية غير واضحة من حيث الواقع ومن حيث المبدأ أيضا ومثل هذا الموقف خلق خلافات كثيرة مثلما تخلق خلافات الحدود بين الأمم " (غيث، 1986:ص 145) كل هذا يجعلنا ننتهي إلى القول بضرورة اتخاذ مدخلا أكثر تكاملا و تداخلا و تواصلا لهذه العلوم الاجتماعية، خاصة وأنه يُحدث فضاءات معرفية جديدة قائمة بحد ذاتها تختلف في جزئياتها عن التخصصات التي أوجدتها، ما جعل سبل ومناهج البحث فيها مختلف عنها ولو نسبيا، خاصة مع التطور المعرفي والعلمي وثورة التكنولوجيا والاتصالات التي فرضت هي الأخرى " على العالم المعاصر متغيرات و توجهات عديدة، من أهمها ضرورة الاهتمام بوحدة المعرفة لمواجهة المشكلات والتحديات بإحداث المزج والتكامل بين التخصصات وهو ما أطلق عيه مدخل التخصصات أو الدراسات البينية interdisciplinaire " (مركز

البحوث والدراسات،2012:ص3) التي يتم خلالها التعامل مع مواضيع الدراسة المختلفة في إطار نظام للمعرفة شمولي، يتداخل فيه السياسي بالاقتصادي والنفسي بالرياضي والاجتماعي بالإحصائي من أجل فهم وتفسير للواقع لا يهمل بعد على حساب آخر لأن الفاعل الاجتماعي أبعاد كثيرة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في تفسير الظواهر التي ينتجها، خاصة وأن سلوكه متغير حسب المواقف المختلفة التي يمر بها ما يجعل قياسها والتنبؤ بها أمرا نسبيا حتى وإن فسرت من أبعاد كثيرة .

إن القول بضرورة استحداث تخصصات بينية تمد جسر التواصل بين مختلف التخصصات لا يرجع بالفائدة المنهجية والمعرفية للبحث العلمي فقط خاصة وأن " برامج الدراسات البينية أصبحت مطلبا أساسيا للعديد من المهن في سوق العمل إلى حد تعريفها لدى البعض بعلوم المستقبل " (مركز البحوث والدراسات، 2012:ص10) وذلك للشرخ الكبير الذي تعرفه العلاقة بين الجامعات خاصة في دول العالم الثالث وسوق العمل، ما يجعل المسؤولية الأولى في التأسيس فعليا لمكانة مرموقة للعلوم الاجتماعية ثم لفضاء معرفي بيني يربط بين المدارس الفكرية والمناهج العلمية ملقى على عاتق الجامعات بالدرجة الأولى، ثم المجتمع بكل مؤسساته بالدرجة الثانية، لأن مشكل العلوم الاجتماعية والإنسانية ليس مشكل معرفي (إبستمولوجي) أو منهجي بحت بل تلعب ثقافة المجتمع وتاريخه دور كبير في توفير أو عدم توفير الوسط الملائم لحضن هذه العلوم ودفع عجلة نموها وازدهارها.

إن تكامل العلوم ودمجها يسهم في تطويرها واستحداث أساليب إبداعية في طرائق التفكير ويعمق قدرات الباحثين ويوسع مداركهم المعرفية و يخرجهم من قوقعة التخصص الواحد ويعطي لنتائجهم المصداقية الأكبر خاصة بعد أن دخل في حساب هذا التواصل علوم تطبيقية أخرى، ولعل الإحصاء من أكثر العلوم التطبيقية التي استعين بها في مجال العلوم الاجتماعية وذلك في محاولة لإحداث مقاربة بين المناهج العلمية المطبقة في العلوم التطبيقية والطبيعية و الأخرى المطبقة في العلوم الاجتماعية، بغية بلوغ الدقة والنجاح الذي حققته العلوم الطبيعيةوالتطبيقية،وتظهر أهمية الإحصاء جلية في العلوم الاجتماعية كافةوالتي دخل إليها من بابها الواسع أين نجده يقدم في جميع مقرراتها الدراسية، ذلك أن البحوث والدراسات سواء أكانت اجتماعية أو اقتصادية أو إدارية، لم تعد تكتفي بمجرد العرض النظري لمشكلات الدراسة المختلفة و تفسيرها و استخلاص نتائج منها، ثم بناء قرارات على أساسه وإنما استحدثت بفضل هذا التداخل أساليب للقياس والإحصاء توائم خصائص الظاهرة الاجتماعية المدروسة، فالقول بأن معظم أفراد مجتمع البحث أثر تناولهم للمخدرات في رسوبهم الدراسي ليس كالقول بأن 70% من مجتمع البحث أثر تناولهم للمخدرات على رسوبهم الدراسي، هذا وقد رفع استخدام الأساليب الإحصائية والرياضية في العلوم الاجتماعية من مكانتها المعرفية خاصة وأنه زود الباحثين بالمعارف والمهارات التي مكنتهم من اختبار الفروض وإعداد التجارب وتحويل المعطيات الكيفية المتشعبة إلى أخرى كمية تعبر عنها جداول ورسومات بيانية، تنتظم فيها المعلومات بطريقة يسهل معها تحليلها وتفسيرها واستخلاص نتائج منها واستخدامها في التخطيط واتخاذ القرارات السليمة، أي أن الإحصاء أصبح يحتل " أهمية خاصة في الأبحاث العلمية الحديثة إذ لا تخلو أي دراسة أو بحث من دراسة تحليلية احصائية تتعرض لأصل الظاهرة أو الظاهرات المدروسة فتصور واقعها في قالب رقمي وتنتهي إلى إبراز اتجاهاتها وعلاقاتها بالظاهرات الأخرى " (أبو راضي، ص 4) .

والاهتمام بالإحصاء ليس وليد القرن العشرين الذي عرف فيه تطورا كبيرا في طرائقه وقواعده و قوانينه وأساليب البحث فيه ، ما مكنه من القيام كعلم مستقل يستعان به في رسم و تحديد السياسة الاجتماعية ، وإنما مرده إلى بدايات الحضارة البشرية ، حيث اهتم الفراعنة و البابليون و اليونانيون بالإحصاء من أجل الحصول على معلومات حول عدد القادرين على حمل السلاح في الحروب و المعلومات عن الانتاج من أجل جمع الضرائب ، والإحصاء كعلم قائم بحد ذاته وفق منهج علمي بدأ تطوره خلال القرن 16 حيث انحصر تطبيقه على تعداد السكان

وحصر ثروات الأفراد حتى تتمكن الدولة من جمع الضرائب و إدارة شؤونها ، ثم توسع ليشمل بيانات عن المواليد و الوفيات والإنتاج والاستهلاك ، ثم نظمت هذه البيانات ووضعت في جداول ورسومات بيانية الهدف منها تسهيل الاستفادة من هذه المعطيات في أسرع وقت وأقل جهد ممكن وكانت تسمى هذه الطرائق بعلم الملوك أو علم الدولة، ثم سميت بعد ذلك بعلم الإحصاء ، وكلمة إحصاء تعني " تلك الأساليب والأدوات و الإجراءات الإحصائية التي يلجأ إليها الباحث وهو بصدد القيام بدراسة ما في عملية الجمع والتصنيف ، وتلخيص وعرض وتحليل البيانات الرقمية " (رسلان، ص ص 7-8) وبالتالي فالإحصاء " علم متكامل يتضمن الأسلوب العلمي الضروري لتقصي حقائق الظواهر و استخلاص النتائج عنها، كما يتضمن أيضا النظرية اللازمة للقياس واتخاذ القرار في كافة الميادين الاقتصادية والسياسية و الاجتماعية و العسكرية " (حسن،2000: ص15-16).

إن "الظاهرة " موضوع العلوم المختلفة سواء أكانت طبيعية أو اجتماعية من وجهة النظر الاحصائية عبارة عن سلسلة متكررة من الحوادث يمكن مراقبة كيفية وأزمنة حدوثها و التنبؤ بها ، لذا نجد أساليب البحث في الإحصاء الاجتماعي تبحث عن أفضل الطرق لجمع البيانات حول الظاهرة الاجتماعية موضوع الدراسة ثم تحويل هذه البيانات في أسرع وقت وأقل جهد من معطيات كيفية إلى أخرى كمية يسهل من خلالها معرفة علاقة الأبعاد المكونة للظاهرة ببعضها البعض ومن ثم فهم وتفسير العوامل الكامنة وراءها ولما لا التنبؤ بها ولو نسبيا ، لذا فأي باحث اجتماعي لا يمكنه أن يلج هذا الميدان دون أن يكون على أتم الدراية بأساليب الإحصاء في الدراسات الاجتماعية، هذا بغض النضر عن الاستفادة الشخصية التي يجنيها الباحث من استخدام الإحصاء، إذا فالعلاقة البينية بين العلوم الاجتماعية وعلم الإحصاء تترجم من خلال ذلك الاستخدام للإحصاء وطرق البحث فيه في دراسة الظواهر الاجتماعية بدءا بجمع المعطيات وانتهاء الى استخلاص النتائج، ولعل الدراسات في علم الاجتماع وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي من أكثر العلوم الاجتماعية استعانة بالأساليب الاحصائية على غرار دراسة دوركايم الشهيرة التي اعتمد فيها على المصادر الإحصائية، ليؤكد أن دراسة الانتحار كظاهرة جمعية تحتم على الباحث أن ينظر إليها من خلال البيانات الاحصائية معتبرا أن المؤشرات الاحصائية عن الأسباب التي دفعت الأفراد الى الانتحار تعد بمثابة مصدر مهم عن الدوافع المفترضة الكامنة وراء الإقدام عليه، أي أنه انطلق من الأرقام والإحصائيات في بحث سوسيولوجي معمق ذلك لأن "نص علم الاجتماع لا يحتوي في ذاته كل العناصر الضرورية لتفسيره، يجب إحالته الى الواقع الذي يطرح على نفسه الإفادة عنه، لذا أخضعنا الأدوات التي استخدمها دوركايم والنتائج التي اكتشفها لامتحان الوقائع والزمن والطرائق الإحصائية الحديثة " (بودلو واستابليه،1999:ص 15)، كما أن علم النفس لا يقل عن علم الاجتماع استخداما للأساليب الإحصائية في القياس النفسي(مقاييس الذكاء،الشخصية، العواطف،الميول، الاضطرابات النفسية،الأمراض العقلية) خاصة في علم النفس التجريبي وعلم النفس الإكلينيكي وعلم نفس الفروق الفردية، وعموما يمكن تلخيص استخدامات الأساليب الاحصائية في العلوم الاجتماعية كما يلي:

يقدم الإحصاء وصف على قدر عال من الدقة العلمية للظاهرة الاجتماعية ثم يقدم تقنيات تقيس أو تختبر مدى ثبات النتائج التي حصل عليها الباحث ما يبرر منطقيا الاعتماد عليها في تفسير الحقائق واختبار صدق أو خطأ الفروض

يقدم الإحصاء تلخيصا متميزا لنتائج الدراسات الاجتماعية بشكل بسيط ومفهوم وشامل ومفصل

يقدم الإحصاء البيانات في شكل كمي بعدما كانت في شكل كيفي من خلال عرضها في جداول وأشكال و رسومات بيانية

يقدم الإحصاء تقنيات دقيقة للمعاينة (اختيار العينات) في كل أحوال المجتمع الاحصائي

يساعد الإحصاء على استخلاص النتائج العامة من النتائج الجزئية مع قياس درجة احتمال صحة التعميم الذي يصل إليه.

و بالتالي يتلخص إسهام الاحصاء في العلوم الاجتماعية في نقطتين يترجمها انقسامه إلى نوعين :

1.1الاحصاء الوصفي: هو ما يختص بطرق جمع المعطيات و وصفها لتكون بصيغة مفهومة وذات مدلول وذلك بوصفها في جداول تكرارية وعرضها في رسومات بيانية وتطبيق مجموعة من المقاييس الإحصائية التي لا تتعدى حد الوصف(مقاييس النزعة المركزية، مقاييس التشتت، مقاييس الارتباط والانحدار،المتوسط الحسابي، المنوال....)

2.1 **الإحصاء الاستدلالي :** وهو ما يتعلق بطرق التحليل والتفسير و تقدير النتائج بالاعتماد على عينة من المجتمع تم اختيارها على أساس إحصائي توفيرا للوقت والجهد و الإمكانيات نظرا لصعوبة أو استحالة دراسة المجتمع ككل انطلاقا من ما تجمع لدى الباحث من خلال دراسته للعينة التمثلية

تعتبر العلوم الاجتماعية من أصعب الميادين التي يطبق فيه الإحصاء خاصة وأن استخدام الإحصاء لا يعني أبدا بلوغ نتائج نهائية دقيقة لا خطأ فيها، وبالتالي دراسة الظاهرة الاجتماعية حتى وإن طبقت عليها الأساليب الاحصائية تصل إلى نتائج في حدود درجة معينة من الدقة، يضاف إليها مهارة الباحث وقدرته على استخدام الأساليب الإحصائية وكذا انطلاقه من فروض علمية مبنية على قراءات سابقة وملاحظات علمية منطقية ودقيقة، أي أنه " كلما كان الباحث مدركا للأسس التي بنيت عليها الطرق الاحصائية التي يستخدمها كلما سهل ذلك عليه تطبيقها تطبيقا صحيحا وتفسير النتائج تفسيرا مناسبا " (سيد أحمد، 1989:ص 14-18)

2.المنهج العلمي في العلاقة البينية بين علم النفس الاجتماعي و الإحصاء:

كان اكتشاف المنهج العلمي واستخدامه من أعمق الاكتشافات العلمية والفكرية في تاريخ الإنسان و الذي استطاع بواسطته أن يكشف عن حقيقة الظواهر وقوانينها، ومعلوم أن استخدام المنهج العلمي في الظاهرة الطبيعية كان اسبق وأسهل وأدق من استخدامه في الظاهرة الاجتماعية ، ذلك أن الفاعل الاجتماعي في دراسته للظاهرة الطبيعية استطاع أن يفصل ذاته عن الموضوع الذي يدرسه وهذا ما لم يتحقق بنفس النسبة عند دراسته للظاهرة الاجتماعية لذا كان من الضروري أن تنشأ علوم للمجتمع قائمة بحد ذاتها " تكشف أسرار العلاقات الاجتماعية، فكان النموذج العلمي الطبيعي أمام المحاولين يقلدونه ويطبقونه على دراسة الحياة الاجتماعية، فكما أن علماء الطبيعة يصوغون نتائجهم في قوانين تبين حركة المادة وتفاعلها كذلك الأمر بالنسبة لعلماء المجتمع عليهم أن يبحثوا عن القوانين التي تكشف بناء الحياة الاجتماعية ووظائفها " (غيث،986 :ص 2)، إن استخدام المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية في الحقيقة هو ما قاد التفكير الاجتماعي من الحالة ما قبل العلمية إلى الحالة العلمية، التي أصبح الميل فيها إلى تحديد المشكلات والفصل بين ما هو قابل للتحقيق العلمي وبين ما هو تأملي، مع ضبط المقتضيات المنهجية و طرائق البحث الملائمة التي تفسر الظاهرة الاجتماعية تفسيرا علميا دقيقا يصل إلى درجة التنبؤ بها، والذي يعتبر غاية العلوم القصوى رغم صعوبة تطبيقه في العلوم الاجتماعية مقارنة بالعلوم الطبيعية، نظرا لتعقد مادة الدراسة وتداخل العوامل المكونة لها وكذا خضوعها لعوامل التغير الاجتماعي، أي أن المنهج العلمي يعبر عن الاستراتيجية العامة التي يرسمها الباحث كي يتمكن من حل مشكلة بحثه بالاعتماد على جملة من القواعد والخطوات تختلف باختلاف أنواع البحوث وطبيعة المواضيع المدروسة وذلك من أجل تحليل تتابع الوقائع وعلاقاتها القائمة،ومن ثم تفسيرها والتحقق منها، بالإضافة إلى إيجاد أدوات علمية جديدة ونظريات ومفاهيم قد تقدم إضافات جديدة في مسار العلم الاجتماعي لدراسة الظاهرة الاجتماعية .

والحديث عن علاقة بينية بين علم النفس الاجتماعي وعلم الإحصاء ، هو في الحقيقة ليس حديث عن علاقة بين فضاءين معرفيين وإنما بين عدة فضاءات، على اعتبار أن علم الإحصاء أولا كان نتيجة لتداخل الرياضيات مع العلوم

الاجتماعية، وعلم النفس الاجتماعي ظهر كنتيجة لتلك العلاقة البينية القائمة بين علم اجتماع " يهتم بجميع الأشكال التي تنصب في قوالبها العلاقات الإنسانية متخذة طابعا جماعيا منظما " (غيث ، 1986:ص139) وبين علم نفس " يتركز اهتمامه حول الفرد في تفاعله مع بيئته " (غيث ،1986 :ص148) فأنتج هذا التداخل علم نفس اجتماعي يعتني بدراسة النشاط الفردي (كيف يؤثر الفاعل الاجتماعي و كيف يتأثر) المباشر و الغير المباشر ، المعقد و البسيط و ذلك في مختلف المواقف الاجتماعية أي أن علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي " يتناول سلوك الفرد في الجماعة " (الزعبي،1994 :ص 21) وفي نفس الوقت " يحاول أن يفهم ويفسر كيف تتأثر أفكار ومشاعر الأفراد بوجود الأخرين سواء وجودا واقعيا أو تخيليا " (الشيخ، 1992:ص 6-7) وهناك من يعتبر أن علم النفس الاجتماعي عبارة عن فرع من فروع علم النفس يصعب تصور حدود فاصلة بينه وبين علم الاجتماع ذلك أن " كلا العلمين يهتم بعناصر مختلفة من واقع واحد لا يتجزأ ، فالأفراد لا يمكن فهمهم بعيدا عن العلاقات، والعلاقات لا يمكن أن تفهم بعيدا عن دوافع و أهداف هذه العلاقات وبالتالي فعلم النفس الاجتماعي يدرس العوامل النفسية التي يتضمنها تكوين الجماعات وهذه تلعب دورا هاما في دراسة تكوين وتغيير التنظيمات الاجتماعية " (جابر،2006:ص 18)، وهذا ما جعله –علم النفس الاجتماعي من أكثر العلوم الاجتماعية استعانة بالأساليب الإحصائية و الرياضية، خاصة بعد التطورات الحاصلة في علم الإحصاء بظهور الحاسبات الالكترونية و برامج و طرق إحصائية متقدمة على شاكلة Exelو spss والتي أمكن عن طريقها التوصل إلى حقائق علمية و نظريات،رغم أنها لم ترق إلى ما وصلت إليه العلوم الطبيعية من نظريات علمية وقوانين،إلا أنها قفزت بالعلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلم النفس الاجتماعي بصفة خاصة قفزة نوعية، نظمت طرائق البحث في خطوات منهجية واضحة تمخض عنها تنوع في مناهج البحث العلمية المستخدمة في دراسة الظواهر الاجتماعية،ولعل المنهج الإحصائي من أكثر المناهج المتموقعة والمعبرة عن العلاقة البينية بين علم الاجتماع وعلم الإحصاء و الذي –المنهج الإحصائي – لا تخرج خطواته عن إطار المنهج العلمي في البحث، والذي ظهر نتيجة للتداخل الذي حصل بين العلوم الاجتماعية والرياضيات في العهد الإغريقي لاسيما لدى الفيثاغوريين الذين استخدموا الإحصاء كثيرا في أبحاثهم،إلا أن استخدامها ظهر واضحا كما سبق وذكرنا في أعمال دوركايم، حتى أصبح المنهج الإحصائي يستخدم في كافة الميادين من علوم إدارية وسياسية واجتماعية وقانونية ونفسية وذلك بعد أن " أضفى الصيغة العلمية على الأبحاث السياسية و الاجتماعية والتي تهتم بدراسة و تحليل الظاهرة الاجتماعية من الناحية الكمية وبالتالي فهو عبارة عن طريقة علمية كمية يتبعها الباحث معتمدا في ذلك على خطوات بحث معينة وتنظيمها وترجمتها بيانيا ثم تحليلها رياضيا، بغية الوصول إلى نتائج أكثر دقة ويقينية وعلمية بخصوص الظاهرة المدروسة " (جندلي، 2005:ص 213) ويعني المنهج الإحصائي أيضا " تجميع المادة العلمية تجميعا كميا، وهو بذلك يعكس البحث العلمي في صورة رياضية بالأرقام و الرسوم البيانية أي في صورة كمية " (رشوان، 2004:ص 107)، كما يعبر المنهج الإحصائي " عن مجموعة من الأساسيات المتنوعة المستعملة لجمع المعطيات الإحصائية وتحليلها رياضيا لعرض الاستدلالات العلمية التي قد تبدو في الغالب غير واضحة " (حليمي، 1994ص 24) وعموما يدرس المنهج الإحصائي الظاهرة الاجتماعية من خلال منهجين : المنهج الاحصائي الوصفي و المنهج الاحصائي الاستدلالي (الاستقراء).

3.النموذج الإحصائي متساوي الاحتمال في دراسة التمثلات الاجتماعية:

يعتبر موضوع التمثلات الاجتماعية من المواضيع التي تتموقع عند التقاطع الحاصل بين حقلين معرفيين هما علم الاجتماع وعلم النفس، لذا نجد البحث في مثل هذا الموضوع يكثر عند المتخصصين في علم النفس الاجتماعي، خاصة وأن التمثلات عبارة عن " محاولة انتقال معرفي من الوجود المتصور ذهنيا إلى الوجود الفعلي للواقع الذي يحيط بنا لأن التصوير الذهني للواقع يتطلب تنشيط البنية المعرفية للفاعل في قراءته لمجموع علاقاته بالمحيط وبمكوناته المختلفة " (حيرش، 2006:ص 122)،إن كون موضوع التمثل يتموقع في حقل معرفي نتج عن تداخل حقول أخرى

أوجد أساليب وتقنيات منهجية كمية إحصائية جديدة لدراسته تهدف إلى الكشف عن العناصر المكونة للتمثلات من جهة ،ثم تنظيم هذه العناصر و ترتيبها من جهة أخرى،وقد وضع الباحثون عدة تصنيفات لهذه الطرق تختلف باختلاف طبيعة الموضوع المعالج و الإمكانات المتوفرة لدراسة الموضوع، إلا أنه يمكن أن تحدد ثلاث طرق عامة تحوي كل طريقة جملة من الأساليب المنهجية المتنوعة والمختلفة ولو جزئيا عن بعضها البعض، تتمثل الطريقة الأولى في الكشف النسقي عن محتوى التمثل الاجتماعي والثانية في طرق الكشف عن تنظيم وبنية التصورات الاجتماعية، أما الطريقة الثالثة فتضم جملة من التقنيات والأساليب التي يطلق عليها تقنيات التحقق من النواة المركزية أهمها تقنية الاستحضار التسلسلي التي يتم فيها جمع المحتوى الظاهري للتمثل المعلن عليه من طرف المبحوث وهذه التقنية مستلهمة من أعمال verges ومعدلة فيما بعد من طرف Abric،حيث يتم في خطوة أولى للتداعي الحر الطلب من المبحوث أن يذكر 5 عبارات أو كلمات الواردة في ذهنه مباشرة بعد سماعه لكلمة الحث و التي تعبر عن موضوع التمثل (قد تكون هذه العبارة : عنف ، بطالة، عنوسة ...) ثم يتم في مرحلة ثانية للتداعي الحر الطلب من المبحوث أن يرتب العبارات التي ذكرها حسب درجة الأهمية بالنسبة له، ثم في خطوة أخرى يقوم الباحث بحساب تكرار الظهور و الأهمية المسندة لكل العبارات التي ظهرت لديه و يصنفها حسب هذين المعياريين إلى أربعة أقسام :

-القسم الأول: منطقة النواة المركزية تظم العبارات التي بها تكرار عالي وأهمية قوية

-القسم الثاني: منطقة عناصر المحيط الأول تضم العبارات التي بها تكرار عالي وأهمية ضعيفة

-القسم الثالث: منطقة العناصر المتباينة تضم العبارت التي بها تكرار ضعيف وأهمية كبيرة

-القسم الرابع:منطقة عناصر المحيط الثاني تضم العبارات التي بها تكرار ضعيف وأهمية ضعيفة

يتم تمثيل هذه الأقسام في جدول أو في رسم بياني يسهل الملاحظة الدقيقة للعبارات ومن ثم تحليل و تفسير التداعيات(abric ,2003 :p p60 _63)

النتائج:

إن حقول المعرفة لا يمكن أن يتقدم أي منها بمعزل عن الأخر ، إذا ما أريد لها أن تستمر في التطور وان تكون بناءة أكثر.

إن ظهور ما يسمى بالعلوم البينية التي تمثل الارتباط بين مجالين علميين أحدهما أكثر تعقيدا من الثاني لهو تعبير واضح عن العلاقة التكاملية الرفيعة المستوى بين العلوم المختلفة.

إن الإنسان باعتباره جسما وعقلا وروحا ووجدانا لا يصح النظر إليه كعناصر مجزأة ، الأمر الذي يدفعنا الى التعامل مع المعرفة بشكل متكامل من اجل الوصول الى فهم أكثر شمولية ودقة لمختلف الظواهر المدروسة.

إن التداخل بين مختلف العلوم والتخصصات يساهم في استحداث أساليب وتقنيات ومناهج بحث جديدة ومبدعة في معالجة وتحليل الظواهر الناتجة عن هذا التداخل والتقاطع.

يعتبر الإحصاء من بين أكثر العلوم المعبرة بوضوح عن أهمية العلاقات البينية بين مختلف التخصصات حيث يستخدم المنهج الإحصائي من طرف الباحثين في مختلف الميادين العلمية في إعداد دراساتهم وتحليل ظواهرهم.

المراجع :

1.أبو راضي فتحي عبد العزيز: مبادئ الإحصاء الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية
2.الزعبي أحمد محمد، 1994، أسس علم النفس الاجتماعي ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء .
الشيخ عبد السلام ، 1992، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية .
3. بودلو،كريستيان واستابليه، روجيه، 1970،دوركايم و الانتحار،1999 (ترجمة):أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، بيروت ، لبنان .
4. جابر،نصر الدين ولوكيا ،الهاشمي ، 2006 ، مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي ، مخبر التطبيقات النفسية و التربوية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر
5. جندلي عبد الناصر،2005 ، تقنيات و مناهج البحث في العلوم السياسية و الاجتماعية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .
6.حسن محمد حسن : مبادئ الإحصاء الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، 2000
7.حليمي،عبد القادر، 1994، مدخل إلى الإحصاء، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر
8.حيرش، جمال ، 2006،" التمثلات الاجتماعية أسس المقاربة النظرية وآفاق البحث في الحقل السوسيولوجي"، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية، العدد الأول، ص 122.
9. رشوان،حسين عبد الحميد أحمد، 2004 ، العلم والبحث العلمي، دراسة في مناهج العلوم الطبيعية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .
10. سيدأحمد ،غريب محمد، 1989، الإحصاء والقياس في البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية
11.علام ،اعتماد و رسلان،يسرى : أساسيات الإحصاء الاجتماعي ، دار الثقافة للنشر و التوزيع
12.غيث،محمد عاطف ، 1986، علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .
13.مركز البحوث والدراسات 1432 ، 2012 ، الغرفة التجارية الصناعية بالرياض ، الإدارة العامة للبحوث والمعلومات : برامج الدراسات البينية واحتياجات سوق العمل .
14- Abric ,Jean claud , Méthodes d'étude des représentation sociales « la recherche du noyau central et de la zone mutte des représentatios sociales ,Eres,2003.